



الإخوان والثورة

- تصوروا أنهم أصحاب الثورة والسلطة ثم انقلبوا على عبد الناصر .
- كراهيتهم للثورة جعلتهم يعارضون الوحدة مع سوريا .
- الهضيبي لم يؤيد الثورة إلا بعد طرد الملك فاروق .
- خططوا للاستيلاء على الحكم تحت عباءة سياسته .
- فشلوا في ضرب النظام من الداخل فتعاونوا للقضاء عليه من الخارج .

الإخوان والثورة

«مصر هبة الإخوان المسلمين»

من يقرأ ما يكتبون ، ويطلع على وثائقهم يظن أنهم هم الذين صنعوا تاريخ مصر ، ودفَعوا النيل العظيم فى أرضها .. ويتصورون أن مناهضتهم لأنظمة الحكم القائمة هى التى تصنع التاريخ .

لكنهم هم الذين تسببوا فى انقسام الوطن العربى والإسلامى ، وغرسوا بذور الحقد فى أرضه الطيبة ، وأنبتوا الفتنة التى لا يعلم سوى الله متى تنتهى .. وهم الذين أنشأوا الفرق الإسلامية التى تصارع بعضها وتناطح أنظمة الحكم ، ولم تكن هذه الفرق إلا نتاجا طبيعيا للإنقسامات التى ترتبت على ظهورهم .

ماذا قدموا للإسلام والمسلمين ولشعبهم ؟

أعترف بداية أن دعوة الإخوان فى مهدها وجدت قبولا فى الشارع المصرى ، وانضم إليها كثير من خيرة الشباب فى هذا البلد .. ولكن حين انحرفت الدعوة بأطماع حسن الهضيبى والبنا وأماله الخبيثة فى السيطرة على الحكم ، حدثت كل المحظورات .

فقد أصبح الرجل الذى يرتدى عباءة سياسية يخطط لأن يصبح زعيما سياسيا .. ولم يجد طريقا أقصر لبلوغ هدفه ، سوى استخدام تعاليم الدين بأسلوب خاطئ ، كانت ثمرته الضارة هى إنشاء التنظيم السرى للإخوان ، الذى لجأ إلى أساليب القتل والسرقعة والنهب وحرق الوجوه بماء النار وتكسير العظام بالشوم .. ووجدوا مبررات زائفة أسندوها لأسباب غير صحيحة أضفوا عليها مسحة دينية ، وتردوا فى هوة سحيقة ، ما كانوا

ليقعوا فيها لو أنهم التزموا بروح الدين ونصوصه ولم يخرجوا عن منهج الإسلام وينحرفوا عن سبيل الدعوة إلى الله المبشرين لتعاليم الإسلام .
 وشاء قدرى أن أقف فى طريقهم أو يجيئوا هم فى طريقى لسنوات طويلة منذ أن التحقت بالعمل بجهاز المباحث العامة فى سبتمبر ١٩٥٩ حتى سبتمبر ١٩٨٥ .. وعاصرت رؤساء الجمهوريات الثلاثة جمال عبد الناصر وأنور السادات وحسنى مبارك .. وعشت أحداثا جساما .

كانت الوحدة سنة ١٩٥٨ ثم الانفصال أهم العلامات البارزة لتلك الحقبة، ثم قرارات يوليو الاشتراكية سنة ١٩٦١ ، والخلاف المصرى الأمريكى الذى ترتب عليه فرض الحصار الإقتصادى على مصر أيام الرئيس الأمريكى جونسون .. وقبل أن تفيق مصر من هذه الدوامات الهوائية .. جاءت مؤامرة الإخوان الكبرى سنة ١٩٦٥ .

وكان الشارع السياسى المصرى فى ذلك الوقت يعج بالعديد من التيارات الفكرية والسياسية .. وكان هناك الاتحاد القومى ثم الاتحاد الإشتراكى وهو التنظيم السياسى المعبر عن النظام حاول المسنولون عنه جمع كل تلك التيارات والفصائل السياسية الموجودة على الساحة المصرية فى بوتقته تنصهر جميعا من خلال الحوار والتفاعل فيما بينها .

وعلى النقيض من ذلك أو فى الإتجاه الآخر ، كانت هناك قوى معارضة، يمثل غالبيتها من تأثروا بقرارات وأجراءات ثورة ٢٣ يوليو ، وكان على رأسها بصفة عامة أحزاب ما قبل الثورة وجماعة الإخوان المسلمين التى شكلت الفيصل الرئيسى فى معارضة الثورة فى الشارع السياسى المصرى.

والخلاف بين الإخوان المسلمين والنظام فى ذلك الوقت حول الوحدة لم يكن يقوم على منطلقات فكرية وأيدولوجية بل كان يقوم على كراهية النظام الحاكم وما يصدر عنه من قرارات أو إجراءات بصرف النظر عن مدى توافرها إسلاميا أو عقائديا .. فمن المعروف والثابت أن الإسلام - عقيدة وشريعة - هو دين الوحدة وليس دين الفرقة والتشتت .. فما الذى جعل الإخوان المسلمين يختلفون مع النظام حول الوحدة بل ويعارض قيامها ما

لم يكن الحقد وحده - وكراهيته ذلك النظام بصرف النظر عن هذه الخطوة تتمشى مع العقيدة أولا ..

وكان من المفروض أن يكون الإخوان المسلمون من بين جميع تلك التيارات المعارضة فى ذلك الوقت ، وهم أكثرها حرصا على تحقيق الوحدة وتدعيمها ، خاصة وأن لهم إمتدادا على أرض سورية . حيث كان الإخوان المسلمون هناك يشكلون تيارا فاعلا مؤثرا .. كانت الوحدة مع سورية فرصة ذهبية لالتقاء الفصيلين - المصرى والسورى - وجمعهما فى بوتقة واحدة ، يجعلها أكثر قوة وتأثيرا فى مجريات السياسة فى الدولة الجديدة .. ولكن كراهيتهم الشديدة للنظام أعمت عيونهم عن تلك الفرصة وجعلتهم لا يرون شيئا عن معارضته بل ومقاومته حتى وإن كان يفعل ما هو فى مصلحتهم على المستوى الخاص ، ناهيك عن المصلحة العامة التى كانت تهدف الوحدة لتحقيقها فى ذلك الوقت .

وقد كانت الكارثة أن الإخوان المسلمين إستغلوا الدين فى تفسيرات لا علاقة لها بالدين بالمرّة ، حين راحوا يغطون معارضتهم للوحدة بتفسيرات دينية ، يدعون بها أن الوحدة ، عمل عنصرى من أعمال الشيطان ، ضد الدين وضد الإسلام نفسه .

وبالرغم من أن معظم القيادات الإخوانية المؤثرة كانت رهن السجن فى ذلك الوقت ، إلا أنه كان لها نشاط ملحوظ من داخل جدران السجون ، ليؤثروا فى كثير من قواعدهم التى كانت فى الخارج . فى إتجاه معارضة الوحدة ، بل ومقاومتها .. وكانت الوحدة سببا فى دفع تيار مهم داخل الإخوان المسلمين لتشكيل التنظيم السرى الذى ضبط بعد ذلك عام ١٩٦٥ والذى كان يتزعمه هذه المرة سيد قطب .

وكان النجاح السياسى والجماهيرى الذى أحرزته الثورة بتحقيق الوحدة مع سورية ، دافعا قويا لتيار إخوانى ضخم لكى يتحرك مناوئا لنظام الحكم ومحاولا توجيه ضربة له فى الصميم وخاف الإخوان من أن تمد الثورة المصرية أقدامها خارج الحدود المصرية .. وأن تحقيق نجاحات لجمال عبدالناصر خارج مصر سوف يزيد من قوة إحكام قبضته على الأمور

محليا وخارجيا ويزيد قوة فى مواجهة معارضيه وعلى رأسهم الإخوان المسلمون ، فكان يجب الإسراع بتوجيه ضربة مؤثرة له فى الداخل تضعف من موقفه الخارجى وبالتالى موقفه الداخلى فى مواجهتهم .. فكان ذلك هو السبب الأول فى التفكير فى إحياء حركة الإخوان وإعادة تجميعهم من جديد بعد أن فرقت بينهم السجون والمعتقلات لفترة طويلة .

والغريب أن تتفق أهداف الإخوان المسلمين حول ذلك مع أهداف القوى المعادية الخارجية لسياسة عبد الناصر فى المنطقة الأمر الذى دفع القوى المعارضة لتلك السياسات - داخليا وخارجيا - على الإلتقاء والتعاون بالرغم مما قد يبدو بينهما من تعارض ظاهر فى كثير من الأمور .. وقد ثبت ذلك التنسيق والتعاون بالأدلة والوثائق ، بل وبالإعترافات الصريحة التى أدلى بها قيادات ذلك التنظيم أمام جهات التحقيق بعد اكتشاف أمر التنظيم والقبض على معظم أعضائه وقياداته ، وليس من قبيل الصدفة أن يبدأ الحصار الإقتصادى لمصر الذى فرضته دول الغرب .. بعد ضرب الإخوان المسلمين عام ١٩٦٥ إثر إكتشاف تنظيمهم المسلح بقيادة سيد قطب .. وقد بدأ الحصار الإقتصادى الذى فرضه الرئيس الأمريكى الأسبق " ليندون جونسون " بالتوقف عن إمداد مصر بالقمح الأمريكى ، وكانت أمريكا هى المورد الأول للقمح ، حين فشلت سياسة الحصار الإقتصادى ، بدأت أمريكا وإسرائيل فى التفكير جديا فى توجيه ضربة مباشرة للنظام المصرى .. ومن هنا كانت كارثة ١٩٦٧ .. التى كانت قمة التصعيد فى الخط الدرامى .

حين فشلوا فى ضرب النظام من الداخل ، فكروا .. ثم نفذوا الخطة البديلة التى تقضى بضربه من الخارج . فكان عدوان سنة ١٩٦٧ ، وللحقيقة والتاريخ .. أقول بأن كثيرا من قيادات الإخوان المسلمين كان قد تنبه لخطورة المؤامرة منذ البداية ، ورأى أن يقف فى صف جمال عبد الناصر مختلفا فى ذلك مع غيره من القيادات الإخوانية ، وقد رأى هؤلاء أن الفهم الصحيح للدين الإسلامى يقتضى هذا الموقف المؤيد لجمال عبد الناصر ، فى قضية التمرد والوحدة وغيرها من القضايا التى كانت تطرحها الثورة

فى ذلك الوقت .. ولذلك فإن الخلاف الإخوانى كان يطفى فى كثير من الأحيان على الخلاف الإخوانى الناصرى .

ومن ناحيته كان لدى جمال عبد الناصر رغبة أكيدة فى الحصول على تأييد الإخوان ومناصرتهم له فى سياسته ومواقفه ، مدفوعا فى ذلك الوقت بالحرص على تماسك الجبهة الداخلية فى مواجهة أعدائه الخارجيين .. وقد سعى منذ اللحظة الأولى التى فكر فيها فى القيام بالثورة على حشد وتوحيد مختلف القوى السياسية المعارضة للملك فى ذلك الوقت ، وكان أول من سعى إليهم هم الإخوان المسلمون .. وكان بعض الضباط الأحرار الذى ضمهم عبد الناصر للثورة ، أعضاء فى تنظيم الإخوان المسلمين فى نفس الوقت ، منهم عبد المنعم عبد الرؤوف وأبو المكارم عبد الحى الذى كان مسئول التنظيمات العسكرية بالجيش والشرطة فى حركة الإخوان المسلمين.

ولكن تخلف عدد من أعضاء مكتب الإرشاد لحركة الإخوان عن تأييد الثورة بطريقة علنية .. والثابت يقينا أن هذا التخلف كان متعمدا ، على الأقل من حسن الهضيبى المرشد العام للإخوان فى ذلك الوقت .. إنتظارا لما قد تسفر عنه الأمور ، والتأكد - يقينا - من نجاح الثورة فى الإمساك بمقاليد الحكم .. وهو ما يفسر لنا ، لماذا لم يعلن الهضيبى تأييده الواضح للثورة إلا بعد أن تم طرد الملك فاروق ومغادرته البلاد متوجها إلى إيطاليا .. ظل حسن الهضيبى مختفيا فى شقه بالإسكندرية ، طوال تلك الفترة ، حتى ظهر فجأة بعد مغادرة الملك لمصر .

وبعد نجاح الثورة فى السيطرة على الأوضاع بمصر ، بدأ فى التفاهم والحوار مع القوى السياسية الموجودة على الساحة .. ولأن حركة الإخوان المسلمين لم تكن قد تلوثت بنفس قدر معظم الأحزاب والقوى السياسية المصرية قبل الثورة ، فقد كان هناك تصور لدى معظم أعضاء مجلس قيادة الثورة ، خاصة جمال عبد الناصر ، بإمكانية التعاون مع تلك القوى وخاصة الإخوان المسلمون .

وقد طلب عبد الناصر من قيادة الإخوان ترشيح عدد من الأسماء الإخوانية ليشاركوا في الحكم كوزراء ، بشرط ألا يكون هؤلاء ممن شاركوا في أعمال إرهابية أو إنخرطوا في تنظيمات سرية .

وكان من بين هذه العناصر المرحوم عبد العزيز على الذى عين فى منصب وزير البلديات وشئون القرى ، وكان عضوا قياديا فى جماعة الإخوان فى حى باب الشعرية .. وقد تطورت علاقته بقيادة الثورة وصلت إلى درجة العداء .. حتى أن الإخوان قد اتفقوا على تعيينه خليفة للمسلمين إذا ما نجح تنظيم سيد قطب فى الاستيلاء على السلطة عام ١٩٦٥ .

وحين طلب عبد الناصر من حسن الهضيبى أن يرشح له عددا من الأسماء الإخوانية لتولى الوزارة حاول الهضيبى فرض أسماء معينة من بينها صلاح شادى وكمال عبد الرازق ، ومنير الدلة وحسن ع شماوى .. ولكن قيادة الثورة رأت أن تختار الشيخ أحمد حسن الباقورى وعبد العزيز باشا على وأحمد حسنى ، ممثلين للإخوان فى الوزارة الجديدة ، فرفض الإخوان بدورهم هذه الأسماء وحدث أول خلاف مع قيادة الثورة .

ثم شهدت العلاقة بين الإخوان والثورة تطورا خطرا حين إكتشفت قيادة الثورة وجود مفاوضات سرية بين الإخوان والسفارة الإنجليزية من وراء ظهر مجلس قيادة الثورة والحكومة .. وهى المحادثات التى أجراها حسن الهضيبى وصالح أبو رقيق ومنير الدلة مع المستشار السياسى للسفارة الإنجليزية بالقاهرة .. وقد حصلت على نسخة من التقارير الذى رفعها المستشار الإنجليزي إلى حكومته حول تلك المفاوضات فى إحدى الشقق بحى المعادى .

وفى الفترة من عام ١٩٥٢ وحتى ١٩٥٤ ، كان الإخوان المسلمون يحاولون بثتى الطرق إظهار قوتهم أمام رجالات ثورة ٢٣ يوليو .. وقد تجلى ذلك واضحا بطريقة واحدة تكررت مرارا فى عدد من المواقف ، وهى سعيهم لحشد أكبر عدد من أعضائهم الذين كان يجرى تجميعهم من مختلف البلاد لحضور أى لقاء جماهيرى كان يحضره أحد أعضاء مجلس قيادة الثورة ، خاصة جمال عبد الناصر أو محمد نجيب ، وكانت المهمة

الأولى لهؤلاء الإخوان هي إطلاق حناجرهم ببعض الهتافات والشعارات الإخوانية لإعطاء الإنطباع بأنهم قوة سياسية مؤثرة في الشارع المصري ، وأنهم يسيطرون عليه سيطرة تامة وكاملة ، وإذا كانت الثورة تريد التعامل مع الشارع المصري فعليها أن تستعين بهم أو تأخذ الإذن منهم بذلك أولاً . ونجح الإخوان المسلمون بالفعل في إيهام عدد من أعضاء مجلس قيادة الثورة بقوتهم الزائفة بينما اكتشف معظمهم ضعفهم - وفهم جمال عبدالناصر - حقيقة اللعبة ، فلم يستجب لمحاولات الإخوان بالإيهام والتظاهر ، وفي نفس الوقت كان الإخوان المسلمون - ولأسباب كثيرة يمكن الحديث عنها - متصورين أنهم أصحاب الحق في هذه الثورة وبالتالي أصحاب الحق في السلطة والحكم .. وهذا التصور الخاطئ - في الواقع - كان السبب الأول والمباشر للصراع الحاد والدموي بين الثورة والإخوان المسلمين.

ونتيجة لوجود مثل هذا التصور لدى الإخوان في أنهم أصحاب الحق في الثورة والسلطة ، شرعوا في إجراء اتصالات مع السفارة الإنجليزية وإجراء محادثات معها حول الأوضاع الجديدة في مصر ، وكان ذلك من وراء ظهر قيادة الثورة ، التي كان يرى فيها هؤلاء مجرد مجموعة من العسكريين الشبان الذين تنقصهم الخبرة والدراية بشئون السياسة .

ومن ناحيتها رحبت السفارة الإنجليزية بالإتصال مع الإخوان المسلمين لرمي أسفين وإحداث وقیعة بين الثورة والإخوان متصورة أن الشارع السياسي في يد الإخوان وبالتالي فإن الوقیعة بين قيادة الثورة والإخوان كان ولا بد أن يأتي بإحداث شرخ بين قيادة الثورة وقواعدها في الشارع الأمر الذي كان يحقق مصلحة الإنجليز للعب على التناقض بعد النجاح في إيجاده، عملاً بالمبدأ الإنجليزى الشهير " فرق تسد " .

وبالفعل حين علمت قيادة الثورة بوجود إتصالات سرية بين الإخوان والسفارة الإنجليزية .. إعتبرت ذلك نقطة تحول فاصلة في علاقتها بالإخوان، فأوقفت التعاون معهم بل واعتبرتهم من الخارجين على النظام بالخيانة والتآمر.